

بسم الله الرحمن الرحيم

الدكتور بشار عواد

ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن إمامنا وأسوتنا وقودتنا وحبیبنا وشفیعنا محمدا عبده ورسوله بعثه الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، فأنا لم أكتب ورقة في هذا الباب ، لكن سأحدث شفاهاً أمام هذا الجمع من العلماء لقد تكلم قبلي صديقي العزيز الاستاذ الدكتور وقد تناول الأخ علي الحلبي مسائل متعددة وأرى أن لا بد لي من أن أبين بعض الأشياء التي ربما أخالفه فيها .

سأذكر أثر ذي أثر أن الانسان يتطور في علمه فربما ما كتبناه قبل عشرين عاماً ، نغير الرأي فيه اليوم وهذا أمر طبيعي والانسان الذي لا يتراجع عن الخطأ فهو مخطئ وأنا لو كنت في هذا اليوم أحقق جامع الترمذي مرة أخرى لما علقت عليه تعليقاً واحداً واكتفيت بالأحكام التي أصدرها هذا الأمام الجهبذ الذي هو من أنجب تلامذة الأمام البخاري .

لكن بعد أن تطور مفهومي في هذا العلم تبين أن بعض هذه التعليقات هي تعليقات على طريقة المتأخرين من العلماء ، وأود قبل الهدأ بالحديث أن أذكر بعض الثوابتفي هذا الموضوع:

أولاً: إننا من محبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن من العا ملين على صيانة حديثه من تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين وإن كنا لا نصحح هذا الحديث .

ثانياً: أننا نعتقد أن أعظم كتابين في الحديث النبوي الشريف هما الصحيحان وأن كل ما في هذين الكتابين هو صحيح ، إن لم يكن صحيح عند جمهور المسلمين فهو صحيح عندهما وأن منزلة الإمام البخاري لا تعلوها منزلة أي محدث من المحدثين وهو في منزلته كما أقرر دائماً كمنزلة أبي بكر بن الصحابة - رضى الله عنه - ومنزلة أبي بكر لا تعلوها منزلة أحد أبداً . اقرأوا التاريخ والسيرة بصورة واسعة واقراءوا البخاري بصورة واسعة سترون صحة هذه النظرية .

ثالثاً: أننا نقول أن الحديث الصحيح هو ما اتصل سنده برواية العدل الثقة الضابط عن مثله الى منتهاه وأن يكون خالياً من الشذوذ والعلة ، ولكن لهذه القاعدة شواذ ..فقد يكون الراوي الضعيف صحيح الحديث وقد يكون الراوي الثقة حديثه غير صحيح ..وإبراز هذا الأمر إنما يكون بإعمال علم العلل

لكن أهل المصطلح الآن يقولون : الراوي الضعيف حديثه ضعيف نحن نقول إن هذه القاعدة ليست مطردة؛ لأن الضعيف إنما سميّ ضعيفاً لأنه ممن كثر خطؤه ولكن دعونا نبسط الأمر فنضرب لذلك مثلاً: جئنا بطالين ووضعنا لهما خمسة أسئلة فأجاب أحدهم عن الأسئلة الخمسة وأخذ مئة بالمئة ، وأجاب الثاني عن سؤالين وأخطأ في ثلاث فأخذ أربعين في الم ائة وهذا راسب ضعيف وهذا ناجح ممتاز ، ولكن هما يتساويان في السؤالين اللذين أجابا عنهما بشكل صحيح ..هذه النتيجة ماذا أريد أن أخرج منه .

مع الأسف أقول إن المتأخرين حينما دافعوا عن الصحيحين لم يدافعوا عنهما بهذه الطريقة ،
قسم قالوا أن كل من روى له أصحاب الصحيحين فهو ثقة قد عبر القنطرة وهذا غير صحيح بدليل أن
الحافظ ابن حجر ذكر في هدي الساري أربعمائة راو ممن انتقد على البخاري بحق أو بباطل لكن فهم بحق
لا شك في ذلك ، لا أحد ينكر أن اسماعيل بن أبي أويس ..ضعيف " يعتبر به لا أحد ينكر أن شريك بن أبي
نمر فيه كلام شديد وأن خالد بن مخلد القطاوي فيه كلام شديد الخ

السؤال الآن : كيف نتعامل نحن مع الصحيحين في هذه المسألة : الواجب يدعوننا إلى أن نتعامل
بصنيع المتقدمين فإنهم كانوا ينتقون من صحيح حديث الضعيف يعني ما توبع عليه ، بينما نجد في كتب
المصطلح يقولون إن الضعيف إذا توبع يتحسن حديثه ، أليس كذلك ؟ أنا أقول لا.. الضعيف إذا تابعه
الثقات يصح حديثه ، يصبح حديثه صحيحا وليس حسناً ، لماذا يكون حسناً دعونا نضرب لذلك مثلاً في
سويد بن سعيد الحدثاني وهو ضعيف متفق على ضعفه تقريباً ..حسين المعلم ضعيف في الزهري
خاصة ثقة في غيره لكن حسين المعلم إذا وافق أصحاب الزهري الثقات الآخرين من أمثال مالك وعقيل
ويونس وحمزة نقول عن حديثه عندئذ : إنه صحيح . لماذا ؟ نقول عنه أنه حسن سويد بن سعيد إذا روى
عن مالك عن نافع عن ابن عمر وروي هذا عن معن بن عيسى القزاز وهو ثقة أو عن عبد الله بن يونس
القيصري أو يحيى بن يحيى النيسابوري أو يحيى بن يحيى الليثي أو أبي مصعب الزهري وكل هؤلاء ثقاتوا بإسناد
نفسه والمتن نفسه ، ماذا نقول عن حديث سويد عندئذ نقول هذا من صحيح حديثه لا نقول هذا حديث
حسن وعلى العكس من ذلك قد يأتي الحديث من طريق ثقات ، ولكن العلماء الجهابذة الاوائل كانوا يعللونه
بأن هذا قد أخطأ فيه وخالف الثقات الآخرين .

إذا فالأصل في كل هذه الأمور هي المتابعة والمخالفة إذا خالف الثقة الثقات الآخرين ، عندئذ
يسقط حديثه ، يضعف حديثه ، والضعيف اذا تابع الثقات فعندئذ يصح حديثه ، هذه قاعدة ، هكذا
ينبغي أن ندافع عن الصحيحين ونحن عملنا تجربة حيث قام تلميذي الأخ هيثم عبد الغفور : عمل مرويات
إسماعيل بن أبي أويس في صحيح البخاري وهي 232 رواية في صحيح البخاري ، ومع أن اسماعيل ضعيف
يعتبر به ، ولا يمكن أن نرفعه أكثر من هذه الناحية ، ومع ذلك لا يوجد حديث واحد من هذه الأحاديث التي
رواها البخاري عن إسماعيل بن أبي أويس الا وهو صحيح بحيث لو أسقطنا إسماعيل بن أبي أويس
لحصلنا على هذه الأحاديث من طرق أخرى صحيحة ، هذه نسمة المتابعات .

إذن جميع الرواة المتكلم فيهم ممن روي عنهم في الصحيحين هم ممن قد انتقيت أحاديثهم سواء
أكان ذلك في البخاري أو مسلم انتقوا من حديثه الصحيح ولم ينتقوا ايضاً من أحاديث الثقات ما أخطأوا
فيه ، يعني تركوا ما أخطأ فيه الثقات في بعض الاحيان من الروايات هكذا يتعين الدفاع عن الصحيحين ،
وسوف ترون أن هذه المنهجية سوف تثبت أن كل ما في الصحيحين من متون الأحاديث هي صحيحة ، إلا
النادر الذي لا يسلم منه غير المعصوم من بني آدم .

إن آخر ما عملت في هذه المدة الاخيرة هو أنني أعدت تحقيق كتاب العقيلي وتنهت الى مسألة
أساسية ، وهي مسألة قضية الشواهد ؟ تصحيح الأحاديث بالشواهد ..ما المقصود بتصحيح الأحاديث
بالشواهد اذا كان متن الحديث صحيحا من طريق آخر ، فهذا يكفيننا ، لأن الغرابة حينما تكون في حديث

صحيح ثابت لغير مخالف فهي مقبولة ، والدليل على ذلك أن الإمام البخاري افتتح كتابه الصحيح بحديث غريب في أربع من مراحلها وهو حديث النية، هذا لا يروى الا عن عمر بن الخطاب ولا يروى عن عمر إلا عن طريق علقمة ابن وقاص الليثي ولا يروى عن علقمة إلا عن محمد بن يزيد إبراهيم التيمي ولا يروى عن محمد بن يزيد التيمي إلا عن يحيى بن سعيد الانصاري ومن يحيى بن سعيد الانصاري تفرع فهل يجوز لي إن جاء الحديث عن طريق أبي هريرة أن أقول له شاهد من حديث عمر بن الخطاب هذا هدم لكتب العلل ولذلك الجهادة الاوائل لم يستعملوا هذا التعبير على الاطلاق ابدأ لم يقولوا له شاهد وأنا أتحدى أن تحضرو لي نصاً واحداً الى القرن الرابع الهجري يقول له فيه شاهد من حديث فلان.

ما هو الشاهد؟ الشاهد، إن كان يراد به المتن فهذا صحيح نحن نكتفي بالشاهد إذا كان صحيحاً ولكن كيف يأتي بعض الناس إلى الحديث الشاذ الذي شذ بإسناده فيقول ران له شاهد عن الطريق الفلاني، فالأولى أن يقال: هذا حديث سنده ضعيف ومتنه صحيح ولا أقول له شاهد متنه صحيح من الطريق الفلاني. في الأيام الأخيرة لقد قلت: أني حققت كتاب العقيلي على نسخة مكتوبة سنة 382 هـ وحدث بها تلميذ العقيلي وهو أبو يعقوب يوسف الصيدلاني راوي الضعفاء عن العقيلي . كان العقيلي وهو من العلماء الأفاضل حقيقة وحين يأتي بالحديث المنكر بسنده يقول : هذا المتن قد صح من طريق آخر ويأتي بالطريق الصحيح. هذه هي الطريقة المثلى. لماذا نقول نحن هذا له شاهد فنقوي السند الضعيف ، هذا لا يجوز لأن هذا ضد ما في كتب العلل، بمعنى نحن نهدم كتب العلل كتب العلل دائماً تبين أن هناك أساساً غير صحيحة لم ترو بها هذه الأخبار. لا أريد أن أطيل في هذه المسألة لكن أرجو أن لا يفهم من كلامي هذا أنني أشد عن الآخرين، فهذه وجهة نظر تحتاج إلى دراسة. أنا لا أريد أن أفرض رأي في هذه المسألة ، لكن أدعو أحد الطلبة النابهين في أن يكتب في هذا الموضوع حقيقة يستحق الدراسة. الأمر الثاني: قضية الحديث الحسن، أود أن أبين مفهوم كلام الأوئل في قضايا الجرح والتعليل والحكم على الأحاديث هذه إصطلاحات كل واحد عنده إصطلاح خاص به ... وأقولها بكل صراحة : إن الذي توصلت إليه في الأخير بعد مضي 50 عاماً في هذا العلم أن هذه في الأغلب عبارات وصفية وليست اصطلاحية عند الأوائل، وجزا الله خيراً كُتِّب المصطلح الذين وضعوا لنا ضوابط وحاولوا أن يضعوا لنا قواعد بناء على استقراء صنيع الأوائل هذا واضح ونحن نعلم أن كتب المصطلح وضعت في القرن الرابع فما بعد يعني من ال رامهرمزي إلى الخطيب البغدادي إلى الحاكم، ثم الخطيب ثم من الصلاح ... الخ، نعود الآن إلى الحديث الحسن، ما هو الحديث الحسن؟ عند الترمذي تبين بالاستقراء لصنيع الترمذي أنه حينما ينزل الحديث إلى مرتبة الحسن فالحديث فيه علة معينة كأن يروى مرفوعاً أو موقوفاً أو يروى موصولاً أو مرسلأ فهو عند البخاري يقول هذا حديث حسن فهو يعني الحديث المعلول .

انظروا في كتب المصطلح ماذا تقول عن الحسن الصحيح عند الترمذي ناس قالوا أنه حسن في إسناده صحيح في متنه ، ناس قالوا هو صحيح في متنه حسن في إسناده وهذا كله قول لا قيمة له حسن صحيح تعبير من الترمذي عن الصحيح هو تعبيره عن الصحيح ، هو استعمله هكذا، وإلا ماذا نقول في كل الأحاديث الحسنة الصحيحة التي قال عنها الترمذي وهي م ما اتفق عليها الشيخان البخاري ومسلم كيف نقول عنها هذا حسن في متنه صحيح في إسناده ، صحيح في متنه حسن في إسناده كيف نقول عنها ذلك كيف يجوز أن نقول ذلك والحديث قد اتفق عليه في الصحيحين بسنده وبمتنه هذا لا يجوز المقصود من

ذلك أن هذه القضايا تحتاج مزيداً من الدراسات وأن لا يقال بأن الحديث قد احترق، الحديث اليوم بوجود الوسائل الحديثة بوحود الكمبيوتر ، بوجود الكتب المطبوعة ونحن نقدر تقديراً عالياً جهود العلماء الأفاضل الذين سبقونا ولم تكن عندهم هذه الوسائل، أنا أتعجب والله من مثل الشيخ الألباني رحمه الله أو الشيخ أحمد شاكِر -رحمه الله- كيف كانوا يستخرجون الأحاديث من هذه الكتب العويصة وأنا أقول مرة التقيت بالشيخ الألباني في سنة 1965 في دمشق وكان الرجل له مكان تحت الدرج في المكتبة الظاهرية وله درج يصعد على المخطوطات قلت لهم من هذا قالوا لي هذا اسمه الشيخ ناصر الدين الألباني وأنا كنت أعد رسالتي للماجستير في ذلك الوقت وكان له مكان في سوق الحميدية يصلح الساعات فلا زلت أكبر فيه الهمة العالية في استخراج الأحاديث من مظانها، ومنها الكثير من المخطوطات رحمة الله عليه ونحن بهذا الكلام إخواني بوجود الوسائل الحديثة بوجود الكمبيوتر بوجود الكهراء بوجود الكتب المطبوعة بوجود أشياء كثيرة نستطيع أن نعيد دراسة الكثير من القضايا التي تحتاج إلى دراسة لا أن نتعصب على أحد ولا أن نتغلق على أنفسنا وهذا ليس فيه إساءة للحديث بالعكس وإنما نهضة بالحديث النبوي الشريف ، نحن نحب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونأمل أن يختم لنا ونحن نعتى بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون لنا شفيعاً يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم ...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته